بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الأمثال

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ — باب ماجاء فى مَثَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ

٣٠١٩ — حدثنا عَلِيُّ بنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ ، أخبرنا بَقِيَّةُ بنُ الْوَلِيدِ ، عن بَحِيرِ بنِ سَعِيدٍ ، عن خَالِدِ بنِ مَعْدَانَ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن النَّوَّاسِ ابنِ سِمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ، عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ زُوْرَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ

(أبواب الأمثال)

جمع المثل بفتحتين وهو تشبيه شيء بشيء فى حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر ، قاله ابن القيم فى الاعلام . وقال البيضاوى فى تفسيره : أكثر الله تعالى فى كتبه الأمثال ، ونشت فى كلام الأنبياء والحكماء ، والمثل فى الأصل بمعنى النظير ، يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا ضرب إلا ما فيه غرابة ، ولذلك حوفظ عليه من التغير ، ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة كقوله تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون) وقوله تعالى : (ولله المثل الأعلى) انتهى .

(باب ماجاء فى مثل الله عز وجل لعباده)

قوله : (عن بحير بن سعيد) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة السحولى ،(عن خالد بن معدان) الكلاعى الحمصى كنيته أبو عبد الله ، ثقة عابد يرسل كثيراً من الثالثة (عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو (بن سمعان) بكسر السين المهملة ، وقيل بفتحها وسكون الميم وبالعين المهملة ، صحابى مشهور سكن الشام .

قوله : (إن الله ضرب مثلا) أى بين مثلا (صراطا مستقيماً) بدل من

مُفَتَّحَةٌ ، عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ ، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللهِ ، فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ حَتَّى يَكْشِفَ السِّتْرَ ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ » .

هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ سَمِعْتُ زَكَرِيَّا بنَ عَدِيٍّ يَقُولُ ، قالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ : خُذُوا عن

مثلا لا على إهدام المبدل كما فى قولك : زيد رأيت غلامه رجلا صالحاً (على كنفى الصراط) أى على جانبيها والكنف محركة الجانب (زوران) بضم الزاى تثنية زور ، أى جداران . وفى حديث ابن مسعود عند رزين سوران بضم السين المهملة تثنية سور ، والظاهر أن السين قدأبدلت بالزاى كما يقال فى الأسدى الأزدى (لهما) أى للزورين وفى حديث ابن مسعود فيها (على الأبواب ستور) جمع الستر بالكسر (وداع يدعو على رأس الصراط) . وفى حديث ابن مسعود : وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا (وداع يدعو فوقه) أى فوق الداعى الأول (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) وفى حديث ابن مسعود : وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب ، قال : ويحك لاتفتحه فإنك إن تفتحه تلجه (والأبواب التى على كنفى الصراط حدود الله) أى محارمه (والذى يدعو من فوقه واعظ ربه) وفى حديث ابن مسعود ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الإسلام ، وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله ، وأن الداعى على رأس الصراط هو القرآن وأن الداعى من فوقه هو واعظ الله فى قلب كل مؤمن . قال الطيبى : قوله هو واعظ الله فى قلب كل مؤمن، هو لمة الملك فى قلب المؤمن ، واللمة الأخرى هى لمة الشيطان .

قوله : (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان (سمعت عبد الله بن عبد الرحمن) هو الدارمى (يقول سمعت زكريا بن

بَقِيَّةَ مَا حَدَّثَكُمْ عن الثِّقَاتِ ، وَلاَ تَأْخُذُوا عن إِسْمَاعِيلَ بنِ عَيَّاشٍ مَا حَدَّثَكُمْ عن الثِّقَاتِ ، وَلاَ غَيْرِ الثِّقَاتِ .

٣٠٢٠ — حدثنا قُتَيْبَةُ ، أخبرنا اللَّيْثُ عن خَالِدِ بنِ يَزِيدَ ، عن سَعِيدِ ابنِ أَبِي هِلاَلٍ ، أَنَّ جَابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ : « خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَوْماً ، فَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرَئِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِي ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اضْرِبْ

عدى) قال فى التقريب : زكريا بن عدى بن الصلت التيمى مولاهم أبو يحيى ، نزيل بغداد وهو آخر يوسف ثقة جليل يحفظ من كبار العاشرة ، ووقع فى بعض النسخ زكريا بن أبى عدى بزيادة أبى بين ابن وعدى وهو غلط ، لأنه ليس فى شيوخ الدارمى ولا فى أصحاب أبى إسحاق الفزارى من يسمى بزكريا بن أبى عدى (يقول قال أبو إسحاق الفزارى) اسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة ثقة حافظ له تصانيف من الثامنة (خذوا عن بقية ماحدثكم عن الثقات) وكذلك قال غير واحد من أئمة الحديث ، وقال الحافظ فى التقريب فى ترجمة بقية بن الوليد هذا : إنه صدوق كثير التدليس انتهى ، فعنعنته غير مقبولة وإن كانت عن الثقات ، وروى هذا الحديث عن بحير بن سعد بالعنعنة (ولا تأخذوا عن إسماعيل بن عياش ما حدثكم عن الثقات ولا غير الثقات) هذا الذى قاله أبو إسحاق خلاف قول جمهور الأئمة ، وقد تقدم بيانه فى باب : لا وصية لوارث . من أبواب الوصايا .

قوله : (أخبرنا الليث) بن سعد (عن خالد بن يزيد) الجمحى المصرى .

قوله : (كأن جبرئيل) بتشديد النون (وميكائيل عند رجلى) وفى رواية البخارى : جاءت ملائكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم . وفى حديث ابن مسعود الآتى : إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض ، فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره . واقتصر فى رواية الترمذى هذه على من باشر الكلام منهم ابتداء وجواباً

لَهُ مَثَلاً ، فَقَالَ : اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ ، وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ ، إِنَّمَا مَثَلُكَ ، وَمَثَلُ أُمَّتِكَ ، كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَاراً ، ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتاً ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ . فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ ، فَاللَّهُ هُوَ الْمَلِكُ وَالدَّارُ الْإِسْلَامُ ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ رَسُولٌ ؛ مَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْإِسْلَامَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مَا فِيهَا » .

هذا حديثٌ مُرْسَلٌ . سَعِيدُ بنُ أَبِي هِلَالٍ لَمْ يُدْرِكْ جَابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ .

(اضرب) أى بين (له) أى للنبى صلى الله عليه وسلم مثلا ، أى تمثيلا وتصويراً للمعنى المعقول فى صورة الأمر المحسوس ليكون أوقع تأثيراً فى النفوس (فقال اسمع) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (سمعت أذنك) جملة دعائية (واعقل) أى افهم ، وفى حديث ربيعة الجرشى عند الدارمى : لتنم عينك ولتسمع أذنك وليعقل قلبك قال المظهر : معناه لا تنظر بعينك إلى شىء ولا تصغ بأذنك إلى شىء ولا تجر شيئاً فى قلبك أى كن حاضراً حضوراً تاماً لتفهم هذا المثل (إنما مثلك ومثل أمتك) أى صفتك وصفة أمتك (كمثل ملك) أى كصفة ملك بكسر اللام (اتخذ داراً) أى بناها (ثم بنى فيها بيتاً) قال فى القاموس : الدار المحل يجمع البناء والعرصة كالدائرة انتهى ، والبيت قطعة من الدار (ثم جعل فيها مائدة) قال فى القاموس : المائدة الطعام والخوان عليه الطعام كالميدة فيهما ، وفى رواية البخارى: وجعل فيها مأدبة . والمأدبة بضم الدال وتفتح ؛ طعام عام يدعى الناس إليه لوليمة (ثم بعث رسولا) وفى رواية البخارى داعياً (إلى طعامه) أى إلى طعام الملك (فمنهم من أجاب الرسول) أى قبل دعاءه (ومنهم من تركه) أى لم يجبه . وفى حديث ابن مسعود الآتى : ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ، وفى رواية أحمد : عذب عذاباً شديداً .

قوله : (هذا حديث مرسل) أى منقطع ، قال الحافظ فى الفتح بعد نقل

وَفى البَابِ عن ابنِ مَسْعُودٍ وَقَدْ رُوِىَ هَذَا الحَدِيثُ عن النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم منْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ بِإِسْنَادٍ أَصَحَّ مِنْ هَذَا .

٣٠٢١ — حدثنا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ ، أخبرنا مُحَمَّدُ بنُ أَبِى عَدِىٍّ عن جَعْفَرِ ابنِ مَيْمُونٍ ، عن أَبِى تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِىِّ عن أَبِى عُثْمَانَ ، عن ابنِ مَسْعُودٍ قال : « صَلَّى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الْعِشَاءَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللهِ ابنِ مَسْعُودٍ حَتَّى خَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ ثُمَّ خَطَّ عَلَيْهِ خَطًّا ، ثُمَّ قال : لا تَبْرَحَنَّ خَطَّكَ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِى إِلَيْكَ رِجَالٌ فَلَا تُكَلِّمْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُكَلِّمُوكَ ، ثُمَّ مَضَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَيْثُ أَرَادَ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فى خَطِّى إِذْ أَتَانِى رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ الزُّطُّ ؛ أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ .

كلام الترمذى هذا مالفظه : وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشى عند الطبرانى بنحو فإنه سياقه وسنده جيد .

قوله : (وفى الباب عن ابن مسعود) أخرجه الترمذى بعد هذا (وقد روى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه بإسناد أصح من هذا) رواه البخارى فى صحيحه عن جابر من غير طريق الترمذى .

قوله : (أخبرنا محمد بن أبى عدى) هو محمد بن إبراهيم بن أبى عدى (عن جعفر بن ميمون) التميمى كنيته أبو على ، ويقال أبو العوام بياع الأنماط ، صدوق يخطىء من السادسة .

قوله : (خرج به إلى بطحاء مكة) أى مسيل واديها ، قال فى القاموس : البطح كسكتف ، والبطيحة والبطحاء والأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى (ثم خط عليه) أى خط حوله (خطاً) أى خطاً مستديراً محيطاً به (لاتبرحن خطك) أى لاتفارقن الخط الذى خط لك (فإنه سينتهى إليك) أى سيصل إليك (كأنهم الزط) قال فى القاموس : الزط بالضم جيل من الهند معرب جت بالفتح والقياس

لا أَرَى عَوْرَةً ولا أَرَى قِشْراً ، ويَنْتَهُونَ إِلَيَّ ولا يُجَاوِزُونَ الخَطَّ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ إِلَى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، لَكِنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَدْ جَاءَنِي وَأَنَا جَالِسٌ فَقَالَ : لَقَدْ أُرَانِي مُنْذُ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فِي خَطِّي فَتَوَسَّدَ فَخِذِي وَرَقَدَ ، وكَانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِذَا رَقَدَ نَفَخَ ، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُتَوَسِّدٌ فَخِذِي ، إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ . اللهُ أَعْلَمُ مَا بِهِمْ مِنَ الجَمَالِ ؛ فَانْتَهَوْا إِلَيَّ ، فَجَلَسَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا بَيْنَهُمْ : مَارَأَيْنَا عَبْداً قَطُّ أُوتِيَ مِثْلَ مَاأُوتِيَ هٰذَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، إِنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ ، اضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً : مَثَلُ سَيِّدٍ بَنَى قَصْراً ثُمَّ جَعَلَ مَائِدَةً فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرِبَ

يقتضى فتح معربه أيضاً والواحد زطى انتهى . وقال فى النهاية : الزط هم جنس من السودان والهنود (أشعارهم وأجسامهم) يجوز النصب على نزع الخافض أى كأنهم الزط فى أشعارهم وأجسامهم ، ويجوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف أى أشعارهم وأجسامهم مثل الزط (لاأرى عورة ولا أرى قشرة) بكسر القاف وسكون المعجمة : غشاء الشيء خلقة أو عرضاً وكل ملبوس قال فى المجمع : أى لا أرى منهم عورة منكشفة ولا أرى عليهم ثياباً (ثم يصدرون) أى يرجعون (لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى) أى حتى إذا كان من آخر الليل ماجاؤا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى (فقال لقد أرانى منذ الليلة) أى لم أنم (فتوسد فخذى) أى جعل فخذى وسادة (إذا أنا برجال) إذا للمفاجأة (إن عينيه تنامان والقلب يقظان) غير منصرف ، وقيل منصرف لمجيء فعلانة منه . قال زين العرب : يقظان منصرف لمجيء فعلانة ، لكنه قد صح فى كثير من نسخ

مِنْ شَرَابِهِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ ، أو قال عَذَّبَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعُوا وَاسْتَيْقَظَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عِنْدَ ذَلِكَ ، فقال : سَمِعْتُ مَا قَالَ هٰؤُلَاءِ . وَهَلْ تَدْرِى مَنْ هُمْ ؟ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : هُمُ الْمَلَائِكَةُ ، فَتَدْرِى مَا الْمَثَلُ الَّذِى ضَرَبُوهُ ؟ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : الْمَثَلُ الَّذِى ضَرَبُوهُ : الرَّحْمٰنُ بَنَى الْجَنَّةَ وَدَعَى إِلَيْهَا عِبَادَهُ ، فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ عَذَّبَهُ » .

هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ من هذا الْوَجْهِ .

وأبو تَمِيمَةَ اسْمُهُ طَرِيفُ بن مُجَالِدٍ ، وأبو عثمانَ النَّهْدِىُّ اسْمُهُ عبدُ الرَّحْمٰنِ بنُ مَلٍّ ، وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِىُّ هُوَ ابنُ طَرْخَانَ ، وإنما كَانَ يَنْزِلُ بَنِى تَيْمٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ . قال عَلِىٌّ قال يَحْيَى بنُ سَعِيدٍ : مارَأَيْتُ أَخْوَفَ لِلّٰهِ مِنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِىِّ .

٢ — بَابُ مَاجَاءَ مَثَلُ النَّبِىِّ وَالْأَنْبِيَاءِ صلى اللهُ عليه وعليهم أجمعينَ وَسَلَّمَ

٣٠٢٢ — حدثنا مُحَمَّدُ بن إِسْمَاعِيلَ ، أخبرنا مُحَمَّدُ بنُ سِنَانٍ ، أخبرنا

المصابيح على أنه غير منصرف ، يعنى فلا يفوته شيء مما تقول (مثل سيد) أى مثله مثل سيد .

قوله : (هذا حديث حسن غريب صحيح) وأخرجه أحمد وابن خزيمة وصححه (وأبو عثمان النهدى اسمه عبد الرحمن بن مل) بلام ثقيلة والميم مثلثة (وسليمان التيمى هو ابن طرخان الخ) ليس لسليمان التيمى ذكر فى هذا الباب أصلا ، فإيراد الترمذى ترجمته ههنا لايظهر له وجه فتأمل .

(باب ماجاء مثل النبى والأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم)

قوله : (حدثنا محمد بن إسماعيل) هو الإمام البخارى رحمه الله (أخبرنا محمد

سَلِيمُ بنُ حَيَّانٍ ، أخبرنا سَعِيدُ بنُ مِينَاءَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ : لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ » . وفى البابِ عن أَبى هُرَيْرَةَ وَأُبَيٍّ

ابن سنان) الباهلى أبو بكر البصرى العوفى بفتح المهملة والواو بعدها فاء ، ثقة ثبت من كبار العاشرة (أخبرنا سليم) بفتح أوله (ابن حيان) بحاء مهملة وتحتانية ثقيلة الهذلى البصرى ثقة من السابعة (أخبرنا سعيد بن ميناء) بكسر الميم ومد النون مولى البخترى ابن أبى ذباب الحجازى ، مكى أو مدنى ، يكنى أبا الوليد ، ثقة من الثالثة .

قوله : (إنما مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً) قيل المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه ؟ وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجل واحد لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان ، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلى وهو أن يؤخذ وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فكأنه ، شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه ، وبقى منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت . وزعم ابن العربى أن اللبنة المشار إليها كانت فى أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار ، قال وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى . وهذا إن كان منقولا فهو حسن وإلا فليس بلازم . نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة فى مكان يظهر عدم الكمال فى الدار بفقدها ، وقد وقع فى رواية همام عند مسلم : إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فيظهر أن المراد أنها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصاً وليس كذلك ، فإن شريعة كل نبى بالنسبة إليه كاملة فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع مامضى من الشرائع الكاملة (لولا موضع اللبنة) بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها

ابنِ كَعْبٍ هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ من هذا الوَجْهِ .

٣ — بَابُ ماجَاءَ مَثَلُ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ

٣٠٢٣ — حدثنا مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ ، أخبرنا مُوسَى بنُ إسْمَاعِيلَ ، أخبرنا أبَانُ بنُ يَزِيدَ ، أخبرنا يَحْيَى بنُ أبى كَثِيرٍ ، عن زَيْدِ بنِ سَلاَّمٍ : أنَّ أبَا سَلاَّمٍ حَدَّثَهُ أنَّ الحَارِثَ الأشْعَرِىَّ حَدَّثَهُ أنَّ النَّبِىَّ صلى اللهُ عليه وسلم

نون وبكسر اللام وسكون الموحدة أيضاً هى القطعة من الطين تعجن وتجعل وتعد للبناء ، ويقال لها مالم تحرق لبنة ، فإذا أحرقت فهى آجرة ، وقوله موضع اللبنة بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف ، أى لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا ، ويحتمل أن يكون لولا تحضيضية وفعلها محذوف تقديره : لولا أكمل وضع اللبنة . ووقع فى رواية همام عند أحمد : ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك . وفى الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبى صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين ، وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين .

قوله : (وفى الباب عن أبى هريرة وأبى بن كعب) أما حديث أبى هريرة فأخرجه الشيخان والنسائى ، وأما حديث أبى بن كعب فأخرجه الترمذى أيضاً فى وائل المناقب .

قوله : (هذا حديث حسن غريب صحيح) وأخرجه الشيخان

(باب ما جاء مثل الصلاة والصيام والصدقة)

قوله : (حدثنا محمد بن إسماعيل) هو الإمام البخارى (أخبرنا موسى ابن إسماعيل) هو المنقرى (أخبرنا أبان بن يزيد) هو العطار البصرى (أخبرنا يحيى بن أبى كثير) هو الطائى (عن زيد بن سلام) بن أبى سلام ممطور الحبشى بالمهملة والموحدة والمعجمة ثقة من السادسة كذا فى التقريب . وقال صاحب مجمع البحار فى المغنى . الحبشى بمهملة وموحدة مفتوحتين ومعجمة منسوب إلى الحبش ، أى الجبل الأسود وإلى حبش حى من اليمن ، منهم أبو سلام ممطور الأعرج ومعاوية ابن سلام قال الأصيلى : الحبشى بضم الحاء وسكون موحدة انتهى (أن أبا سلام) بتشديد اللام واسمه ممطور هو جد زيد بن سلام (أن الحارث الأشعرى) قال فى

قالَ : « إنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيىٰ بنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِىءَ بِهَا . قالَ عِيسَى إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا . فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ ، فَقَالَ يَحْيىٰ أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ . فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ فَامْتَلأَ المَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ ، فَقَالَ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ : أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً . وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ . فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ؟ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ

التقريب الحارث بن الحارث الأشعرى الشامى صحابى ، يكنى أبا مالك تفرد بالرواية عنه أبو سلام وفى الصحابة أبو مالك الأشعرى اثنان غير هذا .

قوله : (إن الله أمر يحيى بن زكريا) أى أوحى إليه كما فى رواية ابن خزيمة (وإنه كاد أن يبطىء بها) من الإبطاء وهو ضد الإسراع ، وفى رواية ابن خزيمة فكأنه أبطأ بهن (فقال يحيى أخشى إن سبقتنى بها الخ) وفى رواية ابن خزيمة : فقال يا أخى لاتفعل فإنى أخاف إن سبقتنى بهن الخ (فجمع الناس) أى بنى إسرائيل كما فى رواية ابن خزيمة (فامتلأ) وفى بعض النسخ فامتلأ المسجد (وقعدوا على الشرف) بضم الشين المعجمة وفتح الراء جمع شرفة . قال فى القاموس : شرفة القصر بالضم معروف والجمع شرف . وقال فى الصراح : شرفة بالضم كنكرة (فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك) زاد فى رواية ابن خزيمة : فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً (فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده) وفى رواية

فى صَلَاتِهِ مَالَمْ يَلْتَفِتْ . وَأَمَرَكُمْ بالصِّيَامِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فى عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يُعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ . وَأَمَرَكُمْ بالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ أَنَا أُفْدِيهِ مِنْكُمْ بالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ فَفَدَا نَفْسَهُ مِنْهُمْ . وأَمَرَكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فى أَثَرِهِ سِرَاعاً حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ؛ كَذَلِكَ العَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ . قالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنى بِهِنَّ : السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْجِهَادِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ

ابن خزيمة : فإن الله يقبل بوجه إلى وجه عبده (فى عصابة) بكسر العين أى جماعة (معه صرة) بضم الصاد وشدة الراء المهملتين . قال فى القاموس : هى شرح الدراهم ونحوها (فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها) أو للشك من الراوى . وفى رواية ابن خزيمة كلهم يحب أن يجد ريحها (أنا أفديه) من الفداء وهو فكاك الأسير أى أفك عنق (بالقليل والكثير) أى بجميع مالى (خرج العدو فى أثره) قال فى القاموس : خرج فى أثره وإثره أى بعده (سراعاً) بكسر السين حال من العدو أى مسرعين (حتى إذا أتى على حصن حصين) الحصن بالكسر : كل مكان محمى منيع لايوصل إلى جوفه ، والحصين من الأماكن المنيع ، يقال درع حصين : أى محكمة وحصن حصين للمبالغة (فأحرز نفسه منهم) أى حفظها منهم (السمع والطاعة) أى للأمير فى غير المعصية (والجهاد) أى فى سبيل الله لإعلاء كلمته (والهجرة) أى الانتقال من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة ، ومن دار الكفر إلى دار الإسلام ومن دار البدعة إلى دار السنة ، ومن المعصية إلى التوبة لقوله صلى الله عليه وسلم: المهاجر من هجر مانهى الله عنه (والجماعة) قال الطيبى : المراد بالجماعة الصحابة ومن

مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يُرَاجِعَ . وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ فَقَالَ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ . فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ » .

بعدهم من التابعين وتابعى التابعين من السلف الصالحين ، أى أمركم بالتمسك بهديهم وسيرتهم والانخراط فى زمرتهم (فإنه) قال الطيبى : اسم إن ضمير الشأن والجملة بعده تفسيره وهو كالتعليل للأمر بالتمسك بعرى الجماعة (قيد شبر) بكسر القاف وسكون التحتية أى قدره وأصله القود من القود وهو المماثلة والقصاص ، والمعنى من فارق ما عليه الجماعة بترك السنة واتباع البدعة ونزع اليد عن الطاعة ولو كان بشىء يسير يقدر فى الشاهد بقدر شبر (فقد خلع) أى نزع (ربقة الإسلام) بكسر الراء وسكون الموحدة وهى فى الأصل عروة فى حبل يجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها فاستعارها للإسلام ، يعنى ما شد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أى حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه . وقال بعضهم : المعنى فقد نبذ عهد الله وأخفر ذمته التى لزمت أعناق العباد لزوم الربقة بالكسر وهى واحدة الربق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم ، أى أولاد الضأن ، والواحدة من تلك العرى ربقة (ومن ادعى دعوى الجاهلية) قال الطيبى : عطف على الجملة التى وقعت مفسرة لضمير الشأن للإيذان بأن التمسك بالجماعة وعدم الخروج عن زمرتهم من شأن المؤمنين ، والخروج من زمرتهم من هجيرى الجاهلية ، كما قال صلى الله عليه وسلم : من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . فعلى هذا ينبغى أن يفسر دعوى الجاهلية بسننها على الإطلاق لأنها تدعو إليها وهو أحد وجهى ما قال القاضى ، والوجه الآخر الدعوى تطلق على الدعاء وهو النداء ، والمعنى من نادى فى الإسلام بنداء الجاهلية وهو أن الرجل منهم إذا غلب عليه خصمه نادى بأعلى صوته قومه : يا آل فلان . فيبتدرون إلى نصره ظالماً كان أو مظلوماً جهلا منهم وعصبية .

وحاصل هذا الوجه يرجع أيضاً إلى الوجه السابق (فإنه) أى الداعى المذكور (من جثى جهنم) بضم الجيم مقصور أى من جماعاتها جمع جثوة بالحركات

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ : الحَارِثُ الأَشْعَرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هَذَا الحَدِيثِ .

٣٠٢٤ — حدثنا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ ، أخبرنا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، أخبرنا أَبَانُ بنُ يَزِيدَ عن يَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيرٍ عن زَيْدِ بنِ سَلَّامٍ عن أَبِي سَلَّامٍ عن الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ عن النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ :

هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . وَأَبُو سَلَّامٍ اسْمُهُ مَمْطُورٌ .

وقد رَوَاهُ عَلِيُّ بنُ المُبَارَكِ عن يَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيرٍ .

٤ — بابُ ماجَاءَ مَثَلُ المُؤْمِنِ القَارِىءِ لِلْقُرْآنِ وَغَيْرِ القَارِىءِ

٣٠٢٥ — حدثنا قُتَيْبَةُ ، أخبرنا أَبُو عَوَانَةَ عن قَتَادَةَ عن أَنَسٍ عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ

الثلاث ، وهى الحجارة المجموعة ، وروى من جثى بتشديد الياء وضم الجيم جمع جاث من جثى على ركبتيه يجثو ويجثى وكسر الجيم جائز لما بعدها من الكسرة وقرىء بهما فى قوله تعالى : « ونذر الظالمين فيها جثياً » (وإن صلى وصام) أى ولو صلى وصام .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم وأخرجه النسائى ببعضه

(باب ماجاء مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء)

قوله : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن) عبر بالمضارع لإفادة تكريره لها ومداومته عليها حتى صارت دأبه وعادته ، كفلان يقرى الضيف ، ويحمى الحريم

الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ رِيحُهَا مُرٌّ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » .

يعطى وفى رواية يقرأ القرآن ويعمل به (كمثل الأترنجة) بضم الهمزة وسكون الفوقانية وضم الراء وسكون النون وبتخفيف الجيم وفيه لغات قال فى القاموس : الأترج والاترجة والترنجة والترنج معروف وهى أحسن الثمار الشجرية وأنفسها عند العرب انتهى . ووجه التشبيه بالأترنجة لأنها أفضل مايوجد من الثمار فى سائر البلدان وأجدى لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها والخواص الموجودة فيها فمن ذلك كبر جرمها وحسن منظرها وطيب مطعمها ولين ملمسها تأخذ الأبصار صبغة ولونا ، فاقع لونها تسر الناظرين ، تتوق إليها النفس قبل التناول تفبد آكلها بعد الالتذاذ بذوقها ، طيب نكهة ودباغ معدة ، وهضم واشتراك الحواس الأربع ، البصر والذوق والشم واللمس فى الاحتظاء بها (ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن) أى ويعمل به كما فى رواية شعبة عن قتادة عند البخارى ، قال الطيبي : التمثيل فى الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لايبرزه عن سكنونة إلا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم إن كلام الله تعالى له تأثير فى باطن العبد وظاهره وإن العباد متفاوتون فى ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء ، ومنهم من لانصيب له البتة وهو المنافق الحقيقى ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المراتى أو بالعكس وهو المؤمن الذى لايقرأه ، وإبراز هذه المعانى وتصويرها إلى المحسوسات ماهو مذكور فى الحديث ولم يوجد مايوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المشبهات والمشبه بها واردة على تقسيم الحاصل لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن ، والثانى إما منافق صرف أو ملحق به ، والأول إما مواظب على القراءة أو غير مواظب عليها وعلى هذا ففى الأثمار المشبه بها ، ووجه الشبه فى المذكورات منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح وليس بمفرق كما فى قول أمرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

(كمثل الريحانة) هى كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم (كمثل الحنظلة)

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . وقد رَوَاهُ شُعْبَةُ عن قَتَادَةَ أَيْضاً .

٣٠٢٦ — حدثنا الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الخَلَّالُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا ، أخبرنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ عن سَعِيدِ بنِ المسَيَّبِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لاَتَزَالُ الرِّيَاحُ تُفَيِّئُهُ وَلاَ يَزَالُ المُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلاَءٌ ، وَمَثَلُ المنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأُرْزِ لاَتَهْتَزُّ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ » . هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

الحنظل نبات يمتد على الأرض كالبطيخ وثمره يشبه ثمر البطيخ لكنه أصغر منه جداً ويضرب المثل بمرارته (ريحها مر وطعمها مر) وفى رواية البخارى كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، قال العينى : قيل الذى عند البخارى أحسن لأن الريح لاطعم له إذ المرارة عرض والريح عرض والعرض لايقوم بالعرض ، ووجه هذا بأن ريحها لما كان كريحها استعير للكراهة لفظ المراره لما بينهما من الكراهة المشتركة انتهى .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح) أخرجه الجماعة .

قوله : (لاتزال الرياح تفيئه) بضم الفوقية وفتح الفاء وتشديد التحتية أى تحركه وتميله يميناً وشمالا (ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء) قال الطيبي : التشبيه إما مفرق فيقدر للمشبه معان بإزاء ما للمشبه به وفيه إشارة إلى أن المؤمن ينبغى أن يرى نفسه عارية معزولة عن استيفاء اللذات والشهوات معروضة للحوادث والمصيبات مخلوقة للآخرة لأنها دار خلود (كمثل شجرة الأرز) قال فى القاموس الأرز ويضم شجر الصنوبر ، وقال فى النهاية الأرزة بسكون الراء وفتحها شجرة الأرزن وهو خشب معروف وقيل هو الصنوبر (لاتهتز) أى لاتتحرك (حتى تستحصد) على بناء المفعول وقال ابن الملك بصيغة الفاعل أى يدخل وقت حصادها فتقطع انتهى ، فكذلك المنافق يقل بلاؤه فى الدنيا لئلا يخف عذابه فى العقبى قال الطيبي : شبه قلع شجرة الصنوبر والأرزن فى سهولته بحصاد الزرع فدل على سوء خاتمة الكافر .

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان .

٣٠٢٧ — حدثنا إسْحَاقُ بنُ مُوسَى ، أخبرنا مَعْنٌ ، أخبرنا مَالِكٌ عن عَبْدِ اللهِ بنِ دِينَارٍ عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُؤْمِنُ . حَدِّثُونِي مَاهِيَ . قالَ عَبْدُ اللهِ : فَوَقَعَ النَّاسُ فى شَجَرِ البَوَادِى وَوَقَعَ فى نَفْسِى

قوله (حدثنا إسحاق بن موسى) الأنصارى (أخبرنا معن) هو ابن عيسى القزاز (أخبرنا مالك) إمام دار الهجرة .

قوله : (إن من الشجر شجرة) زاد فى رواية مجاهد عند البخارى فى باب الفهم فى العلم : قال صحبت ابن عمر إلى المدينة فقال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال إن من الشجر ، وله عنه فى البيوع : كنت عند النبى صلى الله عليه سلم وهو يأكل جماراً (لايسقط ورقها وهى مثل المؤمن) بكسر الميم وسكون المثلثة أو بفتح الميم والمثلثة وهما بمعنى ، قال الجوهر مثله ومثله كلمة تسوية كما يقال شبهه وشبهه بمعنى ، قال والمثل بالتحريك أيضاً مايضرب من الأمثال انتهى . ووجه الشبه بين النخلة والمؤمن من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحرث بن أسامة فى هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه : قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : إن مثل المؤمن كمثل شجرة لاتسقط لها أنملة أتدرون ماهى ؟ قالوا لا . قال هى النخلة لاتسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة ، ووقع عند البخارى فى الأطعمة من طريق الأعمش قال حدثنى مجاهد عن ابن عمر قال : بينا نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتى بجمار فقال إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم ، وهذا أعم من الذى قبله ، وبركة النخل موجودة فى جميع أجزائها مستمر فى جميع أحوالها ، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى فى علف الدواب والليف فى الحبال وغير ذلك مما لايخفى ، وكذلك بركة المؤمن عامة فى جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته (حدثونى) أى أخبرونى (فوقع الناس) أى ذهبت أفكارهم فى أشجار البادية فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع وذهلوا عن النخلة يقال وقع الطائر على الشجرة إذا نزل عليها (ووقع فى نفسى) بين أبو عوانة فى صحيحه

أَنَّهَا النَّخْلَةُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم هِيَ النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ يَعْنِي أَنْ أَقُولَ ، قالَ عَبْدُ اللهِ فَحَدَّثْتُ عُمَرَ بِالَّذِي وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا » .

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . وفى البابِ عن أَبى هُرَيْرَةَ .

٥ — بابُ ماجَاءَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ

٣٠٢٨ — حدثنا قُتَيْبَةُ ، أخبرنا اللَّيْثُ عن ابنِ الْهَادِ عن مُحَمَّدِ بنِ

من طويق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذى أتى به ، وفيه إشارة إلى أن الملغز له ينبغى أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال ، وأن الملغز ينبغى له أن لايبالغ فى التعمية بحيث لايجعل للملغز بابا يدخل منه بل كلما قربه كان أوقع فى نفس سامعه (فاستحييت) وفى رواية البخارى فى باب الفهم فى العلم فأردت أن أقول هى النخلة فإذا أنا أصغر القوم (أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا) زاد ابن حبان فى صحيحه : أحسبه قال حمر النعم وفى هذا الحديث إمتحان العالم أذهان الطلبة بمالا يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه ، وأما مارواه أبو داود من حديث معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الأغلوطات قال الأوزاعى أحد رواته هى صعاب المسائل فإن ذلك محمول على مالا نفع فيه أو ماخرج على سبيل تعنت المسئول أو تعجيزه .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان .

قوله : (وفى الباب عن أبى هريرة) قال الحافظ فى الفتح بعد نقل كلام الترمذى هذا ما لفظه : أشار بذلك إلى حديث مختصرة لأبى هريرة أورده عبد بن حميد فى تفسير لفظه : مثل المؤمن مثل النخلة .

(باب ما جاء مثل الصلوات الخمس)

قوله : (أخبرنا الليث) هو ابن سعد (عن ابن الهاد) اسمه يزيد بن عبد الله

إِبْرَاهِيمَ عن أَبِي سَلَمَةَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ ؟ قالُوا لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا » .

(عن محمد بن إبراهيم) هو ابن الحارث .

قوله : (أرأيتم) أى أخبرونى هو استفهام تقرير متعلق بالاستخبار أى أخبرونى هل يبقى (لو أن نهراً) قال الطيبى : لفظ لو يقتضى أن يدخل على الفعل وأن يجاب لكنه وضع الاستفهام موضعه تأكيداً وتقريراً ، والتقدير لو ثبت نهر صفته كذا لما بقى والنهر بفتح الهاء وسكونها ما بين جنبى الوادى سمى بذلك لسعته وكذلك سمى النهار لسعة ضوئه قاله الحافظ (هل يبقى) بفتح التحتانية (من درنه) بفتح الدال والراء أى وسخه يعنى هل يبقى على جسده شىء من درنه (قال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فذلك) أى النهر المذكور قاله ابن الملك . قال القارى : والأظهر أن الإشارة إلى ما ذكر من الغسل فى النهر خمس مرات . قال الطيبى : الفاء جزاء شرط أى إذا أقررتم بذلك وصح عندكم فذلك (مثل الصلوات الخمس) عكس فى التشبيه حيث أن الأصل تشبيه المعقول بالمحسوس مبالغة كقوله تعالى : (قالوا إنما البيع مثل الربا) (يمحو الله بهن) أى بالصلوات (الخطايا) أى الصغائر . قال ابن العربى : وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة فى بدنه وثيابه وبطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته انتهى . قال الحافظ : وظاهره أن المراد بالخطايا فى الحديث ما هو أعم من الصغيرة والكبيرة لكن روى مسلم قبله حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً : الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبائر . فعلى هذا المقيد يحمل المطلق فى غيره .

فائدة : قال ابن بزيزة فى شرح الأحكام : يتوجه على حديث العلاء إشكال يصعب التخلص منه . وذلك أن الصغائر بنص القرآن مكفرة باجتناب الكبائر وإذا كان كذلك فما الذى تكفر الصلوات الخمس انتهى قال الحافظ : وقد أجاب

وفى البابِ عن جَابِرٍ . هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٣٠٢٩ — حدثنا قُتَيْبَةُ ، أخبرنا بَكْرُ بنُ مُضَرَ القُرَشِيُّ عن ابنِ الْهَادِ نَحْوَهُ .

٦ — بابٌ

٣٠٣٠ — حدثنا قُتَيْبَةُ ، أخبرنا حَمَّادُ بنُ يَحْيَى الْأَبَحُّ عن ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عن أَنَسٍ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ » .

عنه شيخنا الإمام البلقينى بأن السؤال غير وارد لأن مراد الله أن تجتنبوا أى فى جميع العمر ومعناه الموافاة على هذه الحالة من وقت الإيمان أو التكليف إلى الموت ، والذى فى الحديث أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها أى فى يومها إذا اجتنبت الكبائر فى ذلك اليوم ، فعلى هذا لاتعارض بين الآية والحديث انتهى وعلى تقدير ورود السؤال فالتخلص منه بحمد الله سهل وذلك أنه لايتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الصلوات الخمس ؛ فمن لم يفعلها لم يعد مجتنباً للكبائر لأن تركها من الكبائر فوقف التكفير على فعلها انتهى .

قوله : (وفى الباب عن جابر) أخرجه مسلم .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان والنسائى .

(باب)

قوله : (أخبرنا حماد بن يحيى الأبح) بفتح الهمزة والموحدة بعدها مهملة أبو بكر السلمى البصرى صدوق يخطىء من الثامنة .

قوله : (مثل أمتى مثل المطر) أى فى حكم إبهام أفراد الجنس (لايدرى) بصيغة المجهول (أوله) أى أوائل المطر أو المطر الأول (خير) أى أنفع (أم آخره) أى أواخره أو المطر الآخر قال التوربشتى(١) : لايحمل هذا الحديث على

---

(١) وقال الشيخ عبد الحق الدهلوى فى أشعة اللمعات مالفظه : بدانكه مدلول ظاهرين حديث شك وتردد وعدم جزم وقطع أست أنكه أول أست بتر وفاضل ترست يا آخران =

التردد فى فضل الأول على الآخر فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم وفى الرابع اشتباه من قبل الراوى، وإنما المراد بهم نفعهم فى بث الشريعة والذب عن الحقيقة . قال القاضى : نفى تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة فى الخيرية وأراد به نفى التفاوت كما قال تعالى : « قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض » أى بما ليس فيهن كأنه قال لو كان لعلم لأنه أمر لا يخفى ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة فى النشو والنماء لا يمكنك إنكارها والحكم بعدم نفعها ، فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإجابة والإيمان والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالإحسان ، وكما أن المتقدمين اجتهدوا فى التأسيس والتمهيد فالمتأخرون بذلوا وسعهم فى التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم فى التقرير والتأكيد ، فكل ذنبهم مغفور وسعيهم مشكور وأجرهم موفور انتهى . قال الطيبى : وتمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم كما أن تمثيله صلى الله عليه وسلم الغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم المكملين لغيرهم فيستدعى هذا التفسير أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة فى الأفضلية ، ولو ذهب إلى الخيرية فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها وأولها وآخرها بالخير وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة التى لا يدرى أين طرفاها . وفى أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد المكملة ، ويلمح إلى هذا المعنى قول الشاعر :

= وأينجا اين معنى مقصود ينست بلكه كناية است از بودن بهمه امت خير خيانكه مطر ابهمه خير ونافع است ليس مفهوم ميشود كه بهمه برابر اند درخيرت ونافعيت ليس خير بمعنى اسم تفضيل نباشد دردين ليس سابقان صحبت داشتند باحضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حقان نكاه دانشتند وتقويت نمودند آنرا وتمام كردند بناى آنرا محكم كردند كان آنرا دوبلند كردند بنار آنرا و شائع كردانيدند أنوار آنرا وظاهر كردانيدند اثار آنرا ادا كرحمل بر معنى اسم تفضيل نمايند يز درست أيد باشار تعدد وجوه خيريت وبالجملة اين حديث ناظر ست بتساوى يا تفاضل بوجوه متعددة مختلفة ومتقرر نزو جمهور آنست كه فضل كى ثابت ست من صحابة راداين منافاة ندارديه نبوة فضل بوجوه جزئية مرديكر أنرا ومراد دارشته اند بفضل كل اكثريت ثواب را عند الله ، انتهى .

وفى البَابِ عن عَمَّارٍ وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو وَابنِ عُمَرَ . هـذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَيُرْوَى عن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ مَهْدِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يُثَبِّتُ حَمَّادَ بنَ يَحْيٰى الأَبَحَّ ، وَكَانَ يَقُولُ هُوَ مِنْ شُيُوخِنَا .

٧ — بابُ ماجاء مَثَلُ ابنِ آدَمَ وَأَجَلِهِ وَأَمَلِهِ

٢٠٣١ — حدثنا مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ ، أخبرنا خَلَّادُ بنُ يَحْيٰى ، أخبرنا

إن الخيار من القبائل واحد وبنو حنيفة كلهم أخيار

فالحاصل أن الأمة مرتبط بعضها مع بعض فى الخيرية بحيث أنهم أمرها فيها وارتفع التميز بينها وإن كان بعضها أفضل من بعض فى نفس الأمر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره وفى معناه أنشد مروان بن أبى حفصة .

تشابه يوماه علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضل

يوم بداء العمر أم يوم يأسه وما منهما إلا أغر محجل

ومن المعلوم علماً جلياً أن يوم بداءة العمر أفضل من يوم يأسه ، لكن البدء لما يكن يكمل ويستتب إلا باليأس أشكل عليه الأمر فقال ما قال وكذا أمر المطر والأمة انتهى .

قوله : (وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمرو وابن عمر) أما حديث عمار وهو ابن ياسر فأخرجه أحمد ، وأما حديث عبد الله بن عمرو فأخرجه الطبرانى وأما حديث ابن عمر فلينظر من أخرجه .

قوله : (هـذا حديث حسن غريب) قال الحافظ فى الفتح بعد ذكر هذا الحديث وهو حديث حسن له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة ، وأغرب النووى فعزاه فى فتاواه إلى مسند أبى يعلى من حديث أنس بإسناد ضعيف مع أنه عند الترمذى بإسناد أقوى منه من حديث أنس ، وصححه ابن حبان من حديث عمار .

(باب ما جاء مثل ابن آدم وأجله وأمله)

قوله : (حدثنا محمد بن إسماعيل) هو الإمام البخارى (أخبرنا خلاد بن يحيى)

بَشِيرُ بنُ المُهَاجِرِ ، أخبرنا عَبْدُ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ عن أَبِيهِ . قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : « هَلْ تَدْرُونَ مَامَثَلُ هَذِهِ وَهَذِهِ ؟ وَرَمَى بِحَصَاتَيْنِ . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قالَ هَذَاكَ الأَمَلُ وَهَذَاكَ الأَجَلُ » .

هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ مِنْ هذا الْوَجْهِ .

٣٠٣٢ — حدثنا الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الخَلَّالُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قالُوا ، أخبرنا عبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ عن سَالِمٍ عن ابنِ عُمَرَ . قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لاَ يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً » .

ابن صفوان السلمى أبو محمد الكوفى نزيل مكة صدوق رمى بالإرجاء وهو من كبار شيوخ البخارى من التاسعة (أخبرنا بشير بن المهاجر) الكوفى الغنوى بالمعجمة والنون صدوق لين الحديث رمى بالإرجاء من الخامسة .

قوله : (ما مثل هذه وهذه) أى هذه الحصاة وهذه الحصاة (ورمى بحصاتين) أى إحداهما قريبة والأخرى بعيدة والجملة حالية (هذاك) أصله ذا فزيدت الهاء فى أوله والكاف فى آخره أى هذا الحصاء المرمى بعيداً (الأمل) أى مرجوه ومأموله الذى يظن أنه يدركه قبل حلول أجله (وهذاك) أى الحصاء المرمى قريباً (الأجل) أى موته فيشتغل الإنسان بما يأمله ويريد أن يحصله فيلحقه الموت قبل أن يصله .

قوله : (هذا حديث حسن غريب) ذكره المنذرى فى الترغيب وذكر تحسين الترمذى وأقره .

قوله : (إنما الناس) أى فى اختلاف حالاتهم وتغير صفاتهم (كإبل مائة) وفى رواية البخارى : كالإبل المائة . قال الخطابى : العرب تقول للمائة من الإبل إبل ، يقولون لفلان إبل أى مائة بعير ولفلان إبلان أى مائتان انتهى . قال

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٣٠٣٣ — حدثنا سَعِيدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ المَخْزُومِيُّ ، أخبرنا سُفْيَانُ ابنُ عُيَيْنَةَ عن الزُّهْرِيِّ بِهٰذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ وَقالَ : « لاَ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً » عن سَالِمٍ عن ابنِ عُمَرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لاَ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً أَوْ لاَ تَجِدُ فِيهَا إِلاَّ رَاحِلَةً » .

٣٠٣٤ — حدثنا قُتَيْبَةُ بنُ سَعِيدٍ ، أخبرنا المُغِيرَةُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عن أَبِي الزِّنَادِ عن الأَعْرَجِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه

الحافظ : فعلى هذا فالرواية التى بغير ألف ولام يكون قوله مائة تفسيراً لقوله إبل لأن قوله كإبل أى كمائة بعير . ولما كان مجرد لفظ إبل ليس مشهور الاستعمال فى المائة ذكر المائة توضيحاً ورفعاً للإلباس ، وأما على رواية البخارى فاللام للجنس (لا يجد الرجل فيها) أى فى مائة من الإبل راحلة أى ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب . فكذلك لا تجد فى مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة فيعاون صاحبه ويلين له جانبه قاله القارى . وقال النووى فى شرح مسلم : قالوا الراحلة هى البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوى على الأحمال والأسفار سميت راحلة لأنها ترحل أى يجعل عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية أى مرضية ونظائره ، والمعنى المرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جداً كقلة الراحلة فى الإبل انتهى . وقال الجزرى فى النهاية : الراحلة من الإبل البعير القوى على الأسفار والأحمال والذكر والأنثى فيه سواء والهاء فيها للمبالغة وهى التى يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر فإذا كانت فى جماعة الإبل عرفت .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان .

قوله : (عن سالم عن ابن عمر الخ) هذا بيان لقوله بهذا الإسناد نحوه .

قوله : (أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن) الحزامى المدنى .

وسلم قالَ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا » .

هذا حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ .

٣٠٣٥ — حدثنا إِسْحَاقُ بنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ ، أخبرنا مَعْنٌ ، أخبرنا مَالِكٌ عن عَبْدِ اللهِ بنِ دِينَارٍ عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلاَ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ

قوله : (إنما مثلى) أى صفتى العجيبة الشأن معكم أيها الأمة أو مع الناس (كمثل رجل استوقد) أى أوقد وزيدت السين للتأكيد (ناراً) أى عظيمة (فجعلت) أى شرعت (الدواب) جمع دابة والمراد من الدواب التى تقع فى النار إذا أضاءت (والفراش) هو بفتح الفاء دويبة طير تتساقط فى النار يقال بالفارسى پروانه (فأنا آخذ) قال النووى : يروى على وجهين أحدهما اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الدال والثانى فعل مضارع بضم الخاء والأول أشهر وهما صحيحان (بحجزكم) بضم الحاء وفتح الجيم بعدها زاى جمع الحجزة وهى معقد الإزار ومن السراويل موضع التكة . قال الأبهرى: ويجوز ضم الجيم فى الجمع (وأنتم تقحمون فيها) من باب التفعل بحذف إحدى التائين أى تدخلون فيها بشدة ومزاحمة . قيل التقحم هو الدخول فى الشىء من غير روية ويعبر به عن الهلاك وإلقاء النفس فى الهلاك . وقال الطيبى : التقحم الإقدام والوقوع فى أمر شاق . قال النووى : ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فى ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش فى نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع فى ذلك لجهله .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان .

قوله : (إنما أجلكم) قال الطيبى : الأجل المدة المضروبة للشىء ، قال تعالى (ولتبلغوا أجلا مسمى) ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل فيقال دنا

إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا ، فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً ؟

أجله وهو عبارة من دنو الموت وأصله استيفاء الأجل أى مدة الحياة ، والمعنى ما أجلكم فى أجل من مضى من الأمم السابقة فى الطول والقصر إلا مقدار ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب من الزمان (فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس) وفى رواية للبخارى : إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس قال الحافظ : ظاهره أن بقاء هذه الأمة وقع فى زمان الأمم السالفة وليس ذلك المراد قطعاً وإنما معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار فكأنه قال إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف إلى آخره ، وحاصله أن فى بمعنى إلى وحذف المضاف وهو لفظ نسبة (وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى) أى مع الرب سبحانه وتعالى (كرجل استعمل عمالا) بضم فتشديد جمع عامل أى طلب منهم العمل (فقال) أى على طريق الاستفهام (من يعمل لى إلى نصف النهار) وهو من طلوع الشمس الى زوالها ، فالمراد بالنهار العرفى لأنه عرف عمل العمال (على قيراط قيراط) أى نصف دانق على ما فى الصحاح ، وقيل القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشرة فى أكثر البلاد والياء فيه بدل من الراء كما أنها بدل من النون فى الدينار ويدل عليه جمعهما على دنانير وقراريط ، وكرر قيراط للدلالة على أن الأجر لكل واحد منهم قيراط لا أن مجموع الطائفة قيراط (ثم قال) أى الرجل المستعمل للعمال (فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء) أى قال أهل الكتاب ربنا

فَقَالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ، قَالُوا لاَ ، قالَ فَإِنَّهُ فَضْلِى أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ » .

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

أعطيت أمة محمد ثواباً كثيراً مع قلة أعمالهم . وأعطيتنا ثواباً قليلا مع كثرة أعمالنا ، ولعلهم يقولون ذلك يوم القيامة وقد حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضى لتحقق ذلك أو صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا على فضائل هذه الأمة فى كتبهم أو على ألسنة رسلهم ، وعلى كل تقدير ففى الحديث دليل على أن الثواب للأعمال ليس على قدر التعب ، ولا على جهة الاستحقاق لأن العبد لا يستحق على مولاه لخدمته أجرة بل المولى يعطيه من فضله ، وله أن يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد . فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال الطيبي : لعل هذا تخييل وتصوير لا أن ثمة مقاولة ومكالمة حقيقية اللهم الا أن يحمل ذلك على حصولها عند إخراج الذر فيكون حقيقة انتهى كذا فى المرقاة (فقال هل ظلمتكم) أى هل نقصتكم (شيئاً) مفعول به أو مطلق (قالوا) أى أهل الكتاب (فإنه) أى الشأن (فضلى) أى عطائى الزائد (أوتيه من أشاء) أو التقدير فإن العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق فضلى .

وقد استدل الحنفية بهذا الحديث لقول أبى حنيفة رحمه الله إن أول العصر بصيرورة ظل كل شيء مثليه . وقد تقدم فى باب تأخير صلاة العصر جوابهم وجوه مفصلا .

قوله : (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه البخارى .